

مصر والبلاد العربية

للدكتور زكي مبارك

أشكر لأدبكم وكرمكم التفضل بالحضور للتسليم على صديق
كان اغترب مدة في سبيل خدمة العلم في العراق
وأعتر عن كلمة « اغترب » وأقترح حذفها من المعجم فهي
كلمة تفردت بها اللغة العربية، ولا يكاد يوجد لها نظير في اللغات
الأجنبية، وعن لغة العرب نقلت إلى الفارسية والتركية وهي كلمة
حزينة يشتمل سوادها في كلام من يقول :
وكل عجب قد سلا غير أني غريب الهوى يا وريح كل غريب
وفي كلام من يقول :

أنا في الفرية أبكي ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي من بلادى بمصيب
عجبا لي ولتركي وطننا فيه حبيبي

ولى مع هذه الكلمة الحزينة تاريخ ، فقد سببت أول معركة
أدبية شهدتها في العراق ، ذلك بأنى كنت نشرت مقالا في مجلة
الرسالة عنوانه « القلب الغريب في ليلة عيد »

فمررت على أديب العراق أن أقول إنى في بلدى غريب ، ودار
الجدل أشهر حول ذلك المقال في الجرائد والمجلات. والحنين إلى
الوطن مرض لا يصيب غير الضعاف في عالم الانسان والحيوان ،
فأرجو أن يكون فينا من القوة ما يعصمنا من هذا المرض المضال
أنا ما كنت غريباً في العراق ، وإنما كنت بين أهلى وقوى.
وإذا صح للمصرى أن يشعر بالفرية وهو في وطن عربى مثل العراق
فإذا ترويه يصنع لو هاجر إلى بلد في استراليا أو في إحدى
الأمريكيتين ؟

لقد آن المصرى أن يرى نفسه من ذلك المرض الذى يقضى
بأن يتوجه حين تنقله الحكومة من القاهرة إلى حلوان ، أن
للمصرى أن يفهم أن في دمه روحاً عربياً يسوقه إلى الانتقال

نص الخطاب الذى ألقاه في حفلة تكريمه

من أرض إلى أرض في سبيل المنافع العلمية والأدبية. آن للمصرى
أن يفهم أن رجولته لا تكتمل إلا إذا واجه المصاعب واستطاع
أن يخلق لنفسه ولوطنه أصدقاء في مختلف البلاد
وما أقول انى كنت أقوى من سائر الزملاء الذين تشرفوا
بخدمة العلم في العراق ، وإنما أقول إنى رضت نفسى على التخلق
بأخلاق أسلافنا من العرب فرأيت الأرض كلها وطناً أصيلاً ولم
تجر كلمة الفرية على لسانى إلا تأثراً باليراث الحزى الذى قضى -
بأن تفرد لفتنا بكلمة « غريب » من بين سائر اللغات
ولما زار سعادة المشاوى بك مدينة بغداد دعا الأساتذة
المصريين لسامع ما قد يكون عندهم من مقترحات أو شكائيات ،
ففضيت أبحث عن أعرف منهم لأصدم عن حضور ذلك الاجتماع
فقد كنت أحب ألا يكون بيننا وبين حكومة العراق وسيط
ولو كان ذلك الوسيط هو المشاوى بك الذى أحب العراق وأحبه
العراق .

إن صداقتنا للعراق لا تزال في أول عهد من عهود التكوين ، -
وهى لا تزال في حاجة شديدة إلى من يحرصها وبرهاها ، وهى
تستحق الحراسة والرعاية لأنها رباط بين أمتين كانت بينهما صلات
ودية من أقدم عهود التاريخ

ولا يعرف قيمة هذه الصداقة إلا من زار العراق. فأهل العراق
بعودتهم المثينة يمشون فينا شعور الثقة بالنفس ، ويفرضون علينا
أن نؤمن بأن جهادنا في سبيل العلم والمدنية لن يضيع
أهل العراق منا ونحن منهم . ولو نطقنا الأحجار لحدثكم
أن علماء العراق اتصلوا بمصر ونقلوا إليها علومهم ومعارفهم يوم
أراد التتار أن يقرضوا حضارة بغداد
ولعل هذا هو السبب في أن مخارج الحروف لا تتفق بين
أمتين عربيتين كما تتفق بين مصر والعراق

أهل العراق منا ونحن منهم؛ فأولفات التديمة في معاهد مصر
هى في الأغلب عراقية ، والمؤلفات الحديثة في معاهد العراق هى
في الأكثر مصرية . فأرجوكم بالله أن تكونوا جميعاً أنصاراً
للاخوة التى تربط بين مصر والعراق

وقد عجب بعض الناس حين رأونى أتصدى لدفع الأذى عن
سمة العراق، فأعرفوا إن شتمنى أدفع دينا ثقيلاً. فأهل العراق فى

البشير بأن تلك الأوطان تستمد من حيث تشعر أو لا تشعر لحياة
مجيدة سترون أعلامها بمد حين

وإخواننا العرب بمحبون من تفرد مصر بالتفوق في اللغة
العربية ، فان أذنوا شرحت لهم بعض أسرار هذا التفوق . فصر
هي الأمة الوحيدة التي استعربت استمرا بآ تاماً ، وصارت العربية
لغتها الرسمية والقومية في مدة ترجع إلى ثلاثة عشر قرناً . وهذا
حظ لم يظفر بمثله المغرب ولا الشام ولا العراق ، فاقترضت
اللغة البربرية في المغرب ، ولا اللغة السريانية في الشام ، ولا اللغة
المبرانية في فلسطين ، ولا اللغة الكلدانية في العراق

وإنما نرجو أن تكون لمصر يد بيضاء في رجوع اللغة العربية
إلى بلاد فارس بفضل المودة الجديدة التي أنشأتها المصاهرة الملكية
بين مصر وإيران . فننؤكد أن قادة الرأي في تلك البلاد
سراعون عواطفنا مشكورين فلا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي
هو خير ، كما فعل إخواننا الأتراك سامحهم الله حين استبدلوا
الحروف اللاتينية بالحروف العربية

وقد وقع بيني وبين سفير إيران في العراق عتاب حين رأيت
أول مرة في بغداد ، ولم أكن أعرف أن الله سيخلق بيننا وبينهم
صلات جديدة تجعل من الحق علينا أن نذكرهم بماضهم الجليل
في خدمة لغة القرآن يوم كان منهم كبار النحويين وكبار اللغويين
إن فرنسا لها مدرسة في طهران لنشر اللغة الفرنسية بين
أهل إيران ، فتي يجيء اليوم الذي تقوم فيه مدرسة عربية في
وطن الجرجاني والتوحيدى وابن العميد ؟

لقد ألفت كتابي النثر الفنى أول مرة باللغة الفرنسية وأنا
في باريس ، وكان قلبي يفيض بالحزن الدائم كلما تذكرت أن
أكثر من تحدثت عنهم في كتابي كانوا رجالاً نشأوا في بلاد
فارس ، وأن لغة العرب في تلك البلاد سارت عربية الوجه
واليد واللسان

وكذلك كان حالى حين ألفت كتاب التصوف الإسلامى فقد
رأيت أن أرواح التصوف هبت علينا من الأقطار الفارسية
فيا أسدقائى الأعزاء في إيران تذكروا ثم تذكروا وأنتم
مسلوحي أبرار أن اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الرسول ،
وتذكروا أن الأمم العربية لها في العالم السياسى والأدبى

أنديتهم وجرائدكم ومجلاتكم ومدارسكم يدفعون عن مصر قالة
السوء ويخاصمون في سبيلها كثيرا من الناس، ولو عرفتم من ذلك
بعض ما عرفت لرأيتم أن من القليل أن ينهض كاتب أو كاتبان
للاشادة بقضائل أهل العراق .

إن القاهرة تقوم في العصر الحديث بالواجب الذي كانت
تقوم به بغداد في عصر بنى المباس، فن واجب القاهرة أن تحمل من
التكاليف ما حملت بغداد، بل من واجب القاهرة أن تحب بمطلع
اليوم السيد الذي يقضى بأن يكون لها في الشرق منافس قوى هو
بغداد ، فتفرد القاهرة بالزعامة الأدبية قد يضر أكثر مما ينفع ،
لأن التفرد بالتفوق قد يخلق عيوباً أيسرها الزهو والخيلاء
والاطمئنان إلى أن ليس في الامكان أبدع مما كان

وقد بدأت هذه العيوب تظهر مع الأسف، فأهل مصر شغلهم
تقاتمهم التي اتسمت وتشعبت عن التطلع إلى ما يقدم أهل العلم
والأدب في العراق وسورية ولبنان وفلسطين والحجاز واليمن
والجزائر وتونس ومراكش وما إلى هؤلاء من البلاد العربية ؛
وانصرف أهل مصر عن الأدب في تلك البلاد بحجبتهم من تطور
الحياة في أقطار حية سيكون لها باذن الله مكان بين الأقطار التي
تسود العالم في المستقبل القريب

ومن الواجب في مقامى هذا أن أوجه أظناركم إلى حقيقة
لا يختلف في صحتها اثنان : تلك الحقيقة هي أن مصر تفرد اليوم
بالسيادة العقلية في البلاد العربية . فتؤلفات مصر ومجلات مصر
ليس لها مناصح يخشى خطره في تلك البلاد ؛ وشعراؤنا وكتابتنا
هم الذين يقدمون الغذاء الأدبى لجمهور المثلمين في الأقطار العربية،
وبفضل إقبال أولئك الاخوان على مؤلفات مصر ومجلات مصر
استطاعت اللغة العربية أن تقف على قدميها بجانب اللغة الفرنسية
واللغة الإنجليزية . فاللغة العربية هي اليوم لغة حية حقا وصدقا ،
وهي تكافح وتناضل لتسيطر وتسود . وما كان من الغريب أن
تسيطر اللغة العربية في أقطار كتب الله أن تستعرب منذ أجيال
طوال ، ولكن فساد الزمن وتوالى الأحداث والخطوب جعل
سيادة اللغة العربية في بلادها من الغرائب ، فلنقوم ذلك ولنواصل
الجهاد، ولنعرف أن من أعظم الشرف أن نكون في الحياة من
المجاهدين، ولنتذكر دائما أن انتصار اللغة العربية في أوطانها هو

يزدان بصورتين كرميتين : صورة الملك فاروق الأول وصورة
الزعيم سعد زغلول
ولما زرت النجف أراد أداؤه أن يقدموا إلى هدية فكانت
تلك الهدية هي صورة الرجل الموفق محمد المشاوي بك، وكان زار
النجف واستقبل فيه أكرم استقبال
ولما زرت الموصل رأيت رئيس نادي الجزيرة أحد تلاميذي
القدماء فأحسست أنني في داري وبين أهلي
فيا أهل مصر، متى تعرفون نعمة الله عليكم ؟ ومتى تؤدون
للأمم العربية واجب الوفاء ؟
إن الذي كتب أن تكون عاصمتكم هروس الشرق هو
وحده القادر على أن يجعلكم أهلاً لرعاية العهد وحفظ الجيل
زكى مبارك

اقرأ الروايات الخالد

﴿ هكذا أغنى ﴾

للشاعر الفذ محمود حسن إسماعيل

صدر حديثاً . ويقع في ٢٥٠ صفحة من الورق الصغيل

المزود بالشكل والتأويل الفنية الرائعة

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ومكتبة التهفة

المصرية وسائر المكتبات الشهيرة بمصر

ومن صاحبه بإدارة الشؤون العامة بوزارة المعارف

تتم النسخة الواحدة ١٠

أطلب مؤلفات

الاستاذ النشاشيبي

وكتاب
الاستاذ الصريح

من مكتبة الورف، شارع الفلكي (البيادر)

من المكتبات العربية المشرفة

والاقتصادى موازين ، وأنها خليفة بأن تزيدكم قوة إلى قوة حين
تراكم ترجبون باللغة العربية التي كان لها في بلادكم أبناء وأحفاد
وأسياب ...

تلك مكانة مصر بين الأمم العربية والاسلامية ، وذلك
حفظها بين الممالك والشعوب ، وهذا التجاوب الأدبي بيننا وبين من
نعرف ومن لا نعرف لم يقع من باب المصادفات ، وإنما هو علامة
حب صادق يغمره لمصر من عرف فضلها من الرجال
وأخشى ، والحزن يغم قلبى ، أن يكون ما ظفرنا به من
المجد الأدبي ميراثاً تلقيناه عن أجدادنا النبلاء الذين ملأوا الدنيا
بالتأليف والتصنيف وجعلوا مصر تاجاً تزدان به هامة اللغة العربية
أخشى ألا تكون لنا سياسة رشيدة تفكر دائماً في حفظ
مكانة مصر بين الأمم العربية . أخشى أن نجعل نعمة الله علينا
فنفسى أننا أغنى الأمم العربية بالأموال والرجال . أخشى ألا نعرف
أن الجهاد في سبيل اللغة العربية هو مجد أبى على الزمن من
الأهرام ومن قصر الكرنك وقصر أنس الوجود

إن اللغة العربية هي التي ستجعل لنا لسان صدق في الآخرين ،
وهي التي ستسطر عمادنا على جبين الزمان

والذي أدعوك إليه هو تجارة لا نعرف غير البيع ، فإن كنتم
في ريب من ذلك فسيروا في الأرض وانظروا كيف تذكر مصر
بالجد والتناء

إننى أفرض زيارة الشرق على رجلين : الأول وزير المعارف
والثاني وزير الخارجية

أما وزير المعارف فهو اليوم معالي الدكتور محمد حسين هيكل
باشا ، وليته كان في بغداد كما كنت في بغداد يوم ظهور كتابه عن
منزل الوحى . ليته كان هناك ليري كيف استقبل البغداديون
كتابته بموكب لم يعرفه القاهريون . وأما وزير الخارجية فهو اليوم
دولة عبد الفتاح يحيى باشا ، وليته يرى كيف يأنس أهل بغداد
إلى صورته الكاريكاتورية في الجرائد والمجلات ، إنه لو رأى ذلك
لعرف أن مصر لا تعيش وحدها وإنما تعيش في أنس بأصدقائها
في الشرق

ولن أنسى اليوم الذي زرت فيه نادي المعارف في بغداد
مع سعادة الأستاذ طه الراوى ، فقد رأيت مكتب رئيس النادي